الحزين الذى يتدفق عن حرارة ولهفة وينبع من أعماق النفس ، وكله لا يختلف من حيث العاطفة المشبوبة والموسيقى اللفظية .

ونكتفى بهذا القدر الذى سقناه مما نظمه الزهاوى أيام الاستبداد لنتحدث عن شعره بعد إعادة الدستور ولنرى موقفه من هذا الحادث العظيم فى تاريخ الدولة العثمانية .

لم نجد للزهاوى قصائد كثيرة فى مناسبة الدستور وإنما كل الذى وجدناه لا يصل إلى ما وصل إليه ذلك الذى نظمه أيام الاستبداد ؟ وهذا القدار القليل كاف لأن يفسر لنا مذهب الشاعر وموقفه حيال الدستور وهو موقف الفرح المستبشر والراضى المطمئن .

فى « الكلم المنظوم » قصيدة عنوانها (التعاون) قالها بعد إعلان الدستور — أو بالأحرى إعادته — وتلاها يوم انعقدت جمعية الاتحاد فى بغداد، والقصيدة لا تتجاوز خمسة وعشرين بيتا نجتزىء منها ما يأتى :

حزب التعاون فى الدنيا هو الناجى ... تمشى على ضوئه فى ليلنا الداجى
قد أفلحت أمة فى قصده نهجت ... فانه للترقى خير منهاج
ان الذى أصبحت عينى تشاهده ... قد أبهج القلب منى أى إبهاج
قد أعلنت للورى حرية فمضى ... زمان سخرة ذى أمرو (قرباج)
واطلقت كل نفس من اسارتها ... هذا الذى كان يرجو نيله الراجى

ثم يؤرخ هذه المناسبة :

فقال فى وصفها شعرى يؤرخها: (تحرر الناس من أسر وإحواج)

ويصادف هذا التاريخ سنة ١٣٢٦ هـ .

وقصيدة أخرى عنوانها « عيد ومأتم » قالها فى هذه المناسبة وقد صادف أن مات رجب باشا صديق الشاعر أيام اعادة الدستور فجمع الشاعر بين الفرح والحزن :

عم البلاد سرور لا يكدره ... إلا وفاة أبى احرارها رجب
أفراحنا برزا يا ناقد اختلطت ... فقلت : قد طابت الدنيا ولم تطب

ليس هذا الذى تحدثنا عنه بقريب على الزهاوى وقد نفى وشرد وأبصر بعينه ما يجرى فى العراق وغير العراق من سوء المعاملة وما تعانيه هذه الأقطار من فقر وجهل وما يقع على الأحرار والأبرياء من تنكيل واضطهاد. ليس بغريب على الزهاوى أن يثور على عبد الحميد وولاته وأن يستبشر بعودة الأستور ولكن الغريب أن عبد الحميد الذى يقول فيه الزهاوى :

أيأمر ظل الله فى أرضه بما ... نهى الله عنه والنبى المبجل

وجدناه فى شعر الزهاوى حاميا للدين الاسلامى رافعاً منار الشريعة كما فى قصيدته (الفتح الحيدى) :

تهنيك بالفتح المبين الذى به ... تسامى منار للشريعة واستعلى !!

ولنا أن نعتذر عن الشاعر بما فسرنا به موقف الكاظمى من العاطفة الدينية التى استجاب لها الزهاوى حين رأى انتصار عبد الحميد على أوروبا الشرقية فاهتز لهذا الانتصار كما اهتز له غيره من الشعراء. وإلا فأى رافع لمنار الشريعة ذلك الذى حاد عن سنن النبى والكتاب ؟ .

ابراهيم الوائلى

عدو الشعب الجاشنكير

للاستاذ عطية الشيخ

تتمة

فى قلعة الكرك .

وقف اعرابيان على باب قلعة الكرك واستأذنا فى الدخول على الناصر ذاكرين أنهما من مصر . فلما مثلا بين يديه كشف ابن قراسنقر لثامه فعرفه السلطان وقال له : محمد ؟ فقال لبيك يا مولانا السلطان ، وقبل الأرض وقال لابد من الخلوة ، فصرف السلطان من حوله . وآنئذ حدثه محمد باتفاق أبيه مع قبجق وأستدمر على مناصرته ، وسلم إليه كتابا من الثلاثة الموالين مضمونه لوم الملك على النزول عن العرش ووعده برجوع ملكه إليه ، فلما قرأه قال يا محمد ، ما لهم قدرة على ما اتفقوا عليه ، فإن أمراء مصر والشام قد اتفقوا على سلطنة بيبرس ، والشاعر يقول .

كن جريا إذا رأيت جبانا ... وجبانا إذا رأيت جريا
لا تقاتل بواحد أهل بيت ... فضعيفان يغلبان قويا

ولن يتم لنا الحال إلا بالحيلة وحسن التدبير والمداراة والصبر على الأمور ، وأرسل مع ابن قراسنقر جوابا لأبيه نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حرس الله تعالى نعمة المقر العالى الأبوى الشمسى ومتعنا بطول حياته ، فقد عملنا ما أشار به وما عول عليه ... وهذا الأمر ما ينال بالعجلة ... وإن حضر إليك من جهة المظفر أحد ، وطلب منك اليمين فقدم النية أنك مجبور واحلف ، ولا تقطع كتبك عنى » وهكذا بدأ الناصر يتصل سرا بمن يستطيع إفساده من الأمراء وأعيان الدولة .

عقارب السعاية

وأخذت عقارب السعاية تعمل بين المظفر والناصر ، توغر بطانة كل قلب صاحبها ليسرع إلى الوقيعة بالآخر ، حتى بعث المظفر للناصر بالكرك يطلب ما عنده من الخيل والمماليك ، ويهدده بالنفى إلى القسطنطينية إن لم يجب ، فغضب الناصر غضبا شديدا وقال : « أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس ، فما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندى ومملوك لى ، إرجع إليه وقل له ! « والله لئن لم يتركنى ، وإلا دخلت بلاد التتار وأعلمتهم أنى تركت ملك أبى وأخى وملكى لمملوكى ، وهو يتابعنى ويطلب منى ما أخذته » فأغلظ له رسول بيبرس القول حتى اشتد غضب الناصر وصاح به ، ويلك ! وأمر أن يرمى من سور القلعة . ثم تاب إلى رشده واكتفى بحبسه ، ثم طرده ماشيا من الكرك ، وقد استغل الناصر ما حدث لاستدرار عطف الناس فكتب إلى جميع الأمراء بالدولة المصرية وإلى النواب بالبلاد الشامية كتبا سيرها مع العربان يستنكر سلوك بيبرس معه ، وفى آخر كل جواب « إما أن تردوه عنى وإما أن أسير إلى بلاد التتار لاجئا مستغيثا »

بداية النهاية

كانت الأفكار مهيأة من قبل عند أمراء الشام بزعامة قراسنقر فكتبوا الى الناصر بأنهم طوع أمره ، أما أمراء مصر وقوادها فأخذوا يهربون إلى الكرك وينضمون إلى الناصر بمماليكهم وأموالهم وأسلحتهم ، تاركين أولادهم بمصر ، فبدأ الشك يساور بيبرس ، وارتاب فى جميع المماليك بسبب ذلك ، وزاد الأمر حرجا أن البرجية ، وهم أعوان بيبرس استغلوا ظروفه الحرجة وأخذوا يظهرون جشعهم ، ويطالبون ثمن اخلاصهم ، ثم استبد الخوف ببيبرس وارتاب فى أخلص الناس إليه ، وقبض على كثير من الأمراء والمماليك ، وقطع رواتبهم وأرسل كتابا شديد اللهجة إلى الملك الناصر ليعيد من هرب إلى مصر ، وأغلظ فيه وأفحش على غير عادته ، ولكنه الضعف دائما ، وحرج المركز ، يسيبان الشعور بالنقص ، فيعوض الإنسان هذا الشعور ، بالتكبر والتعالى مرة ، وبإذاء الألفاظ مرة أخرى ، وبالوعيد والتهديد آنا آخر ، وقد أشارت بطانة الناصر عليه ، أن يرد على بيبرس ردا ليما إمعانا فى الخديعة ، حتى يتم الاستعداد ، وينفض عنه الجميع .

رد مخادع

كتب الناصر إلى بيبرس جوابا على طلبه من هرب من الأمراء هذا نصه : « المملوك محمد بن قلاوون يقبل اليد العالية المولوية السلطانية المظفرية أسبغ الله ظلها ، ورفع قدرها ومحلها ... لما علم المملوك بوصولهم أغلق باب القلعة وسيرت إليهم ألومهم على ما فعلوه ... وعلمت أنهم إنما هربوا خوفا على حياتهم ، واستجاروا بالمملوك ، والمملوك يستجير بظل الدولة المظفرية ... والمملوك يسأل كريم العفو والصفح الجميل ، والله تعالى قال فى كتابه الكريم ، وهو أصدق القائلين (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)

عرش يتهاوى

وصل هذا الجواب للملك المظفر فاطمأن خاطره ، واستنام إلى الخديعة ، ولم يقرع له ناقوس الخطر إلا كتاب وصل إليه من الأفرم نائب دمشق بأن الناصر خرج من الكرك بقضه وقضيضه ، وأن كل أمراء الشام قد انحازوا إليه بعساكرهم وأموالهم ، وأن منابر الشام بدأت تدعو للناصر . ومنعت اسم بيبرس من الخطبة ، وشاع خبر خروجه فى مصر ، فازدادت حركة الهرب والانحياز إليه من المماليك والأمراء ، ثم أخذ المظفر يرسل الجيش تلو الجيش لمحاربة الناصر فيفر الجنود والأمراء ويلتحقون بجيش الناصر فى الشام .

يجني عليه اغتراره

هال المظفر ما يدور حوله ، وشعر بحرج مركزه فرأى تجديد البيعة لنفسه ، واستدعى الخليفة ، وحلف بين يديه الأمراء ، واستكتبه عهداً جديدا ليتلى فى المساجد على مسامع الشعب ، ونسخة العهد : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الربيع سليمان بن أحمد العباسى إلى أمراء المسلمين وجيوشها (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وإنى رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائبا عنى بالديار المصرية والبلاد الشامية وأقمته مقام نفسى لدينه وكفاءته وأهليته ، ورضيته للمؤمنين ، وعزلت من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك ، ورأيت ذلك متعينا على ، وحكمت بذلك الحكام الأربعة ، واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا ساغر عن كابر ، وقد استخرت الله تعالى ووليت عليكم الملك المظفر فمن أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى ، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى صلى الله عليه وسلم. وبلغنى أن الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شق العصا على المسلمين ، وفرق كلمتهم وشتت شملهم ، وأطمع عدوهم فيهم ، وعرض البلاد الشامية والمصرية لسبى الحريم والأولاد ، وسفك الدماء وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك ...

وقد أوجبت عليكم بامعاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى اللواء الشريف ...

ولما قرىء هذا العهد على منابر مساجد القاهرة وبلغ القارىء اسم الناصر صاح العوام نصره الله ، ولما وصل إلى اسم الملك المظفر صاحوا لالا، مانريده ، وقامت ضجة وحركة فى القاهرة ومصر بسبب ذلك .

حتى فتنة وصريخ

كان بروغلى قائد قواد بيبرس وزوج ابنته لما رأى العسكر والقواد يفرون إلى الناصر طلب إلى المظفر أن يقود الجيش بنفسه فتعلل بيبرس بكراهيته للفتنة وسفك الدماء ، واكتفى بتجديد البيعة وعهد الخليفة ، فلم يرق ذلك فى نظر بروغلى ، وقال له على لسان الرسول «يا بارد الذقن هل بقى أحد يلتفت إلى الخليفة؟ » ثم هرب مع جيشه وانضم للناصر وإذ ذاك سقط فى يد المظفر وعلم بزوال ملكه ، وظهر عليه اختلال الحال وأخذ خواصه يلومونه على أخطائه ، ككل ملك يأفل نجمه فيكثر ناقدوه وتعد حسناته سيئات ، وكان أكثر لومهم له فى إبقائه سلار ، وإغضائه الطرف عنه ، مع أن جميع ماحصل من اختلال الدولة بسببه ؛ فإنه لما فاته السلطنة وقام بيبرس فيها حسده على ذلك ، ودبر عليه ، واشترك فى إثارة الفتنة مع دسائس الناصر «وبيبرس فى غفلة عنه فانه كان سليم الباطن لا يظن أن صديقه يخونه »

ويل للمغلوب

بلغ من انحلال أمر بيبرس أن العوام كانوا يعلنون سبه فى الشوارع ، ويهتفون به تحت أسوار القلعة ، فلم يجد بداً من أن يكتب للناصر يتنازله عن الملك وقال فى كتبه «إن حبستنى عددت ذلك خلوة ، وإن نفيتنى عددت ذلك سياحة ، وان قتلتنى كان ذلك لى شهادة » ثم فكر فى ترك القاهرة خلسة والسفر إلى أسوان للاحتماء ببلاد النوبة ، لأنها من قديم مهرب لمن هوى نجمه من أمراء مصر وملوكها « فكأنما نودى فى الناس بأنه خرج هاربا ، فاجتمع العوام وعندما برز من باب الاصطبل صاحوا به وتبعوه ثم تجاوزوا الحد فى إهانته وشتمه بل أخذوا يقذفونه بالحجارة .

فى ساعة العسرة

عز على مماليك بيبرس السبعمائة ماقابلته العامة بسيدهم فثارت ثائرتهم ، وهموا بوضع السيف فيهم ، ولكن بيبرس الذى لاقى ما لاقى فى سبيل خدمة الشعب والمحافظة على ماله لم يقبل أن يسىء إلى أحد ، ونهاهم عما هموا به ، وطلب إليهم أن ينثروا ما معهم من الذهب على العامة لينشغلوا بجمعه عن السب والاهانة والجرى وراء الركب ، وقد نفذ مماليكه أمره ، وأخرج كل منهم حفنة من الذهب ونثرها على الشعب ، ولكن العامة لم تلتفت للذهب ووجدت فى القسوة على هذا العزيز الذى ذل مغنما أكبر من الذهب ؛ وبذىء الألفاظ دائما أشهى إلى نفوس العامة من كل طعام آخر ، فاستمروا يمدون

خلف الملك ، وهم يسبون ويصيحون ؛ ولما علم خطباء المساجد إلى الوجه القبلي أسقطوا اسمه من الخطبة ، وأعلنوا على المنابر اسم الملك الناصر .

لعبى الله الدنيا :

كان أتباع المظفر يتناقصون كلما أوغل في السير للجنوب وما وصل إلى إخميم حتى كان أكثر مماليكه قد فارقه ، بانثنى عزمه عن الوصول إلى أسوان وعاد أدراجه في طريقه إلى السويس ليذهب منها إلى بلاد الشام . وأرسل السلطان في طلبه بعض الأمراء برياسة قراسنقر فأدركوه في غزة، وأراد من بقي حوله من المماليك أن يدافعوا عنه ليخلص من الطالب فقال (أنا كنت ملكا وحولي أضعافكم ولي عصبة كبيرة من الأمراء وما اخترت سفك الدماء) وما زال بهم حتى كفوا عن القتال وسلم نفسه لقراسنقر وكذلك سلم مماليكه السلاح ... وفي طريق عودة الجيم إلى القاهرة لمقابلة الناصر قابل الركب في الخطارة بمديرية الشرقية رسول آخر من الملك ، أنزل المظفر عن فرسه ، وقيده بقيد أحضره معه فبكى وتحدرت دموعه ، فشق ذلك على قراسنقر وقال : لعن الله الدنيا ! ياليتنا متنا وما رأينا هذا اليوم ! ورمي قلنسوته على الأرض من شدة الألم ، مع أن قراسنقر كان أكبر الساعين ضد المظفر والعاملين على زوال ملكه، وبلغ الناصر ما أظهره قراسنقر من العاطفة نحو بيبرس فطلبه ليقتله ، ولم يجد مجالا للخلاص إلا الهرب إلى بلاد الشام . وليت شعري كيف يعاقب الإنسان على عاطفة أثارتها حوادث دامية يتفتت لها الجلمود الأصم .

محاكمة :

مثل المظفر بين يدي السلطان ، وقبل الأرض فعنفه الناصر ، وأخذ يعدد ذنوبه على مسامعه ويقول: « تذكر وقد رددت شفاعتي في حق فلان ، واستدعيت نفقة في يوم كذا فمنعتها ، وطلبت مرة حلوى بلوز وسكر فمنعتني ، ويلك ! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي » فلما فرغ كلام السلطان قال المظفر : وإيش يقول المملوك لأستاذه ؟ فقال السلطان : أنا اليوم أستاذك وبالأمس طلبت أوزا مشويا ، فقلت إيش يعمل بالأوز ؟ أيأكل عشرين مرة في النهار ! ثم طلب السلطان وترا ليخنق به بيبرس أمامه فالتمس المظفر وضوءا ليتوضأ ، ثم خنق المظفر حتى كاد يتلف . ثم ترك حتى فاق وأخذ الملك يعنفه ويزيد في شتمه ، وكرر الخنق والإفاقة والتعنيف حتى مات المظفر تحت العذاب فأنزل إلى الاسطبل على درابزين وغسل وكفن ودفن خلف قلعة الجبل وأخفى قبره ، وكذلك مثل الملك بابنته وزوجه وصادر أموالها وحتى جواهرها بتحريض بطانته ، وعلى إثر هذه المأساة وقف الشاعر يقول :

تثنى عطف مصر حين وافى ... قدوم الناصر الملك الخبير
فذل الجحشنكير بلا لقاء ... وأمسى وهو ذو جاش نكير
إذا لم تعضد الأقدار شخصاً ... فأول ما يراع من النصير

علي الشيخ
مفتش المارف بالمنيا

في تقسيم النفس

التوافق الفكري

بين سيجموند فرويد والغزالي

للأستاذ نور الدين رضا الواعظ

قد يبدو غريباً إذا قلنا ، ان التقسيم الثلاثي الجديد للجهاز النفسي من قبل العلامة فرويد لم يكن حدثاً جديداً ، ولا إبداعاً علمياً ، لأنه سبق أن تطرق إليه العلامة الغزالي » فعندما نقول هذا القول لا يعني أننا عقت فرويداً ونتعصب للغزالي ، أو نريد أن نحط من قيمة فرويد العلمية حتى نرفع من شأن الغزالي لأن ؛ كلا من العلامتين في غنى عن المدح والقدح . ولكننا نريد أن نبحث عن الحقيقة أينما وجدت ونتخذ « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » لأن التفكير العلمي يقتضي التجرد عن التزمت ، والابتعاد عن التعصب ، والا إختل « التوازن العلمي » الذي يجب السير بهداه ، أثناء البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية ..